يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ

جمعها:

مسير ماطر الظفيري

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد فقد قال الله تعالى: ﴿**يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ**﴾ [النور:٤٤].

﴿**يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**﴾ من حر إلى برد، ومن برد إلى حر، من ليل إلى نهار، ومن نهار إلى ليل، ويُديل الأيام بين عباده، ﴿**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ**﴾. [تيسير الكريم الرحمن].

والتقليبُ –أنواع منها – الحسِّي: أنَّ الله يَقْلِب الأرضَ بَدَلًا مِن أنْ كانتْ ضياءً ونهارًا إلى ليلٍ، ثم إلى نهارٍ، وهكذا... – ومنها – التقليب المعنوي ما يَحصُل في هذه الأيام مِن الحوادثِ والتغيُّرات، والعِزِّ والنَّصْر والإذلال والخذلان؛ كما قال الله تعالى: ﴿**وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ**﴾ [آل عمران:١٤٠] ... ومِن التقليب أيضًا تقليبُ الفصول؛ حيث يطولُ اللَّيلُ والنَّهارُ مَرَّةً في وقت الشتاء ومَرَّةً في وقت الصيف، كل هذا من التقليب. [تفسير الشيخ ابن عثيمين رحمه الله لسورة النور بتصرف].

وها نحن كنا ننتظر شهر رمضان، فأصبحنا في العشر الأخير منه، فسبحان مقلب الليل والنهار، والسعيد من اتعظ بسير الليالي والأيام، ولم يغفل عن عمره فيُضيعه في شهوات ولذات فانية، ويأتي يوم القيامة ولم يجن شيئًا من الحسنات، فيقول حينها: ﴿**يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ**﴾ [الزمر:٥٦]، يوم القيامة يتحسر المجرم المفرط في التوبة والإنابة، ويود لو كان من المحسنين المخلصين المطيعين لله – عز وجل –.

وقوله: ﴿**وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ**﴾ أي: إنما كان عملي في الدنيا عَمَلَ سَاخرٍ مُستهزئٍ غيرِ مُوقنٍ مُصدقْ. [تفسير القرآن العظيم لابن كثير رحمه الله].

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إِنِّي رأيْتُ في المنامِ كأنَ جبريلَ عند رأسِي، وميكائيلَ عندَ رِجْلَيَّ، يقولُ أحدُهما لصاحِبِهِ: اضربْ لَهُ مَثَلًا، فقال: اسمعْ سَمِعَتْ أذنُكَ، واعقلْ عَقِلَ قلبُكَ؛ إنَّما مَثَلُكَ ومَثلُ أمتِكَ كمَثَلِ مَلِكٍ اتخذَ دارًا، ثُمَّ بنى فيها بيتًا، ثُمَّ جعل فيها مائدةً، ثُمَّ بعثَ رسولًا يدعو الناسَ إلى طعامِهِ، فمنهم مَنْ أجابَ الرسولَ، ومنهم مَنْ تَرَكَهُ، فاللهُ هُوَ**

المِلكُ، والدارُ الإسلامُ، والبيتُ الجنةَ، وأنتَ يا محمدُ رسولٌ، مَنْ أجابَكَ دَخَلَ الإسْلامَ، وَمَنْ دخلَ الإسلامَ دخلَ الجنةَ، ومَنْ دخلَ الجنةَ أكلَ ما فيها» [صحيح الجامع (٢٤٦٥)].

قال ابن رجب رحمه الله: من صام اليوم عن شهواته أفطر عليها غدا بعد وفاته، ومن تعجل ما حُرّمَ عليه من لذاته عُوقب بحرمان نصيبه من الجنةِ وفواته، شاهدُ ذلك من شَربِ الخمر في الدنيا لم يَشربها في الآخرة، ومن لَبَسَ الحريرَ لم يلبسه في الآخرة.

أنت في دار شتـــات *** فتأهب لشتـــــاتك
واجعل الدنيا كيـــوم *** صُمتـه عن شهواتك
وليكن فطركُ عند الله *** في يوم وفـــــــاتك

[لطائف المعارف: ص(٣١٩)].

فسارعوا رحمكم الله للأعمال الصالحة، وإياكم وفوات الأجر وخُسران التجارة الرابحة، فقد كان من هديه صلى الله عليه وسلم في هذه العشر كما قالت أمنا عَائِشَة رضي لله عنها: **كَانَ النَّبي صلى الله عليه وسلم إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ، وَأَحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ.** [رواه البخاري].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: **كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ.** [رواه البخاري].

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت: **كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مَا لاَ يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ.** [رواه مسلم].

وكان من هديه صلى الله عليه وسلم أنه يتحرى ليلة القدر ويقول في فضائل شهر رمضان: «**فِيهِ لَيْلَةٌ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ**». [رواه أحمد في مسنده: (١٢/ ١٣٤) وصحح إسناده أحمد شاكر].

ويقول: «**فَالْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ، وَالْتَمِسُوهَا فِي كُلِّ وِتْرٍ**». [رواه البخاري].

ويستحب لمن أدرك هذه العشرَ الإكثار من الدعاء فيها، قالت عَائِشَةَ رضي الله عنها: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيُّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ الْقَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا؟ قَالَ: «**قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي**». [رواه الترمذي].

وعن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ بُسْرٍ رضي الله عنه قَالَ: قال النَّبِي صلى الله عليه وسلم: «**طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا**». [رواه ابن ماجه، وقال الشوكاني في تحفة الذاكرين: إسناد ابن ماجه صحيح].

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لنا ذنوبنا كُلَّها دِقَّها، وجِلَّها، وأَوَّلَها وآخِرَها وعَلانِيَتَها وسِرَّها يا رب العالمين...